﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ 22/ 2/ 1442 هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ حُبَّ الْأَوْطَانِ غَرِيزَةٌ مُسْتَوْطِنَةٌ فِي النُّفُوسِ، تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَسْتَرِيحُ لِلْبَقَاءِ فِيهَا، وَيَحِنُّ إِلَيْهَا إِذَا غَابَ عَنْهَا، وَيدَافِعُ عَنْهَا إِذَا هُوجِمَتْ، وَقَدْ أَقَرَّ الْإِسْلَامُ ذَلِكَ، فَقَدْ خَاطَبُ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ بِحُزْنٍ وَشَوْقٍ لَمَّا أَخْرَجَهُ قَوْمُهُ مِنْهَا، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ».

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا وَصَاعِنَا».

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ»: كَانَ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - يُحِبُّ عَائِشَةَ، وَيُحِبُّ أَبَاهَا، وَيُحِبُّ أُسَامَةَ، وَيُحِبُّ سِبْطَيْهِ، وَيُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ، وَيُحِبُّ جَبَلَ أُحُدٍ، **وَيُحِبُّ وَطَنَهُ**، وَيُحِبُّ الْأَنْصَارَ، إِلَى أَشْيَاءَ لَا تُحْصَى، مِمَّا لَا يُغْنِي الْمُؤْمِنَ عَنْهَا قَطُّ. اهـ

وَقَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ ﷺ؛ فَكَانَ يُحِبُّ الْمَدِينَةَ حُبًّا عَظِيمًا، وَكَانَ يُسَرُّ عِنْدَمَا يَرَى مَعَالِمَهَا عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ سَفَرٍ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ، أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتْحِ الْبَارِي»: فِي الْحَدِيثِ دِلَالَةٌ عَلَى فَضْلِ الْمَدِينَةِ، **وَعَلَى مَشْرُوعِيَّةِ حُبِّ الْوَطَنِ**، وَالْحَنِينِ إِلَيْهِ. **اهـ**

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «سُنَنِهِمَا»، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ حَجَّهُ فَلْيُعَجِّلِ الرِّحْلَةَ إِلَى أَهْلِهِ؛ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِأَجْرِهِ».

قَالَ الْمَنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي: «فَيْضِ الْقَدِيرِ»: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ » أَيْ: أَتَمَّ. «حَجَّهُ»، أَوْ نَحْوَهُ مِنْ سَفَرِ طَاعَةٍ، كَغَزْوٍ.

«فَلْيُعجِّلِ» أَيْ: فَلْيُسْرِعْ نَدْبًا.

«الرِّحْلَةَ إِلَى أَهْلِهِ» أَيْ: وَطَنَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَهْلٌ.

«فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِأَجْرِهِ»: لِمَا يُدْخِلُهُ عَلَى أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنَ السُّرُورِ بِقُدُومِهِ؛ لِأَنَّ الْإِقَامَةَ بِالْوَطَنِ يَسْهُلُ مَعَهَا الْقِيَامُ بِوَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْحَجِّ الَّذِي هُوَ أَحَدُ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ، فَطَلَبُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْفَارِ الْمَنْدُوبَةِ وَالْمُبَاحَةِ أَوْلَى. اهـ

وَهَذَا كَلِيمُ الرَّحْمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ، وَإِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهِ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «أَحْكَامِ الْقُرْآنِ»: قَالَ عُلَمَاؤُنَا: لَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ، طَلَبَ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَحَنَّ إِلَى وَطَنِهِ، وَفِي الرُّجُوعِ إِلَى الْأَوْطَانِ تُقْتَحَمُ الْأَغْرَارُ، وَتُرْكَبُ الْأَخْطَارُ، وَتُعَلَّلُ الْخَوَاطِرُ. اهـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْمُرَابَطَةَ عَلَى ثُغُورِ الْبِلَادِ تُنْمِي لِصَاحِبِهَا عَمَلَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ.

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ، إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يَنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ عَيْنًا بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تَمَسُّهَا النَّارُ.

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

إِنَّ لَيْلَةً تَحْرُسُ فِيهَا فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ».

إِنَّ الشَّهِيدَ يُوقَى فِتْنَةَ الْقَبْرِ.

أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً».

إِنَّ الشَّهِيدَ لَا يَجِدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَقَرْصَةٍ.

أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْأَخْذَ عَلَى أَيْدِي الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ، فِيهِ النَّجَاةُ بِإِذْنِ اللهِ مِنَ الْمَهَالِكِ، كَمَا فِي حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا».

فَيَجِبُ الْأَخْذُ عَلَى أَيْدِي هَؤُلَاءِ، وَإِنِ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ تَعْمِيرٍ وَإِصْلَاحٍ؛ فَهَذَا مِنْ تَسْمِيَةِ الْأَشْيَاءِ بِأَضْدَادِهَا، فَالْمُسْلِمُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَالِحًا فِي نَفْسِهِ مُصْلِحًا لِغَيْرِهِ، سَاعِيًا فِي إِغْلَاقِ أَبْوَابِ الشَّرِّ وَالْإِفْسَادِ.